

الشباب والتعليم: نحو رشد منهجي لإصلاح التعليم

في المجتمع العربي

الدكتور موسى حبيب

الجزائر جامعة مصطفى إسمطبولي معسكر

مقدمة:

كلمة يعز قائلها، ويفلح العامل بها: "إنكم يا أبناءنا مناط آمالنا ومُستودع أمانينا، نُعدُّكم لحمل الرسالة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث وهو ذو تبعات وتكاليف"⁽¹⁾

نقرأ هذه الكلمات المؤثرة من الشيخ البشير الإبراهيمي الجزائري، فنشعر بعظم الرسالة التي تنتظر الشباب وبالأخص طلبة الجيل المميز، طلبة التعليم وما أدراك ما التعليم، إذ ما يزال حملا ثقيلًا ومسؤولية عظيمة اتجاه المعلم والمتعلم على حد سواء، كي يسمو كلا منهما إلى مدارج الحضارة والرقى "أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عرييد الشباب في طلبها."⁽²⁾

فالشباب قضايا كثيرة، وهمومه كبيرة، ومشاكله متعددة، ولكن إذا أردنا أن نقضي على الداء فلا بد أن نقضي على أسبابه.

أسئلة البحث: ما هي أبرز مشاكل التعليم الأساسية؟ ما هي تداعيات وانعكاسات الأزمة على الفرد والمجتمع؟، ما هي الحلول والمقترحات للنهوض بالشباب العربي في مجال التعليم؟

1 - عبد الرحمان شيبان: المختار في الأدب والنصوص، السنة الثالثة ثانوي، 1983، ص405.

2-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العناصر الأساسية للبحث: التعليم، أهميته التعليم، الشباب والتعليم، مشكلات التعليم، كيفية إصلاح التعليم،
رشد منهجي وحلول عملية لمشكلة التعليم.

أهداف البحث:

يحاول البحث تشخيص الداء الذي يعصف بالتعليم ومستقبله في الأوطان العربية، ثم رصد مجموعة الأفكار والآراء والتجارب الإنسانية الناجحة والفعالة لأجل الاستفادة منها لإصلاح التعليم المرتبط ارتباطاً وثيقاً بفئة الشباب، فهم صرح الأمة وعماد المستقبل، وضرورة نشر الوعي لممارسة التعليم المنهجي الفعال، الذي يسمو بالأوطان العربية إلى مدارج الحضارة والرقى.

أهمية البحث:

لا نعدو الحقيقة إن قلنا أنّ الطاقة الشبابية المتعلمة يمكنها أن تصنع جيلاً متميزاً، راقياً مزدهراً في جميع المستويات: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية...، ولذا تكمن أهمية البحث في كونه يخاطب هذه الفئة المهمة في المجتمع، لأنها مفتاح النجاح ومناطق كل أمل، وحتى نستشرف بمستقبل زاهر وغد مشرق لا بد من إصلاح التعليم بتصحيح أخطاء الماضي، والسعي نحو الجودة والكفاءة والنوعية.

والمسؤولية-كما يبدو-كبيرة، وهي قاسم مشترك بين الشباب المتعلم والمؤسسات التعليمية. ولذلك حُقّ للشباب أن يغيّر من أفكاره، وينهض من سباته، وجدير بالمؤسسات التعليمية التربوية المحافظة على نمطية التعليم الفعال والناجح، والسعي قدماً نحو البرامج التعليمية المفيدة، كي تقوى شوكة الشباب، أي طلبية العلم في كل المستويات، وفي جميع التخصصات، وكافة الأصعدة.

منهج البحث

نحاول أن نمزج في بحثنا بين المنهج الوصفي التحليلي؛ بحيث نصف الظاهرة أولاً، ونحلل المعطيات ثانياً، والمنهج الإحصائي؛ بتقديم بعض الأرقام والإحصائيات المهمة في الدراسة، والمقارن؛ حين نقوم بمقارنة بين طريقة بيداغوجية وطريقة أخرى، أو بين أرقام دول وأرقام دول أخرى... أو بين مرحلة متقدمة ومرحلة تليها، وما يقابلها من إيجابيات وسلبيات.

1- الشباب والتعليم (مفاهيم وتعريفات):

1-1 مفهوم الشباب: يقصد بالشباب: الفتاء والحداثة، وهو عكس الشيب والهزم، "شب يشب شبابا وشبيبة. وفي حديث: تجوز شهادة الصبيان على الكبار، يستشبون أي يستشهد من شب منهم وكبر إذ بلغ، والشباب جمع شاب، وكذلك الشبان." (1)

ومعنى الشباب أيضا في معجم الوسيط هو من أدرك سن البلوغ إلى سن الرجولة، والشباب هو الحداثة والشباب إلى الشيء. (2)

ومرادفات الكلمة كثيرة منها مثلا مراهق، وفتى، وصبي، وهي كلمات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسمية ونفسية لفترة من الحياة، وهي تعني القوة والنشاط والحركة والحماس. (3)

الشباب في التعريف الدولي هم الأفراد الذين تكون أعمارهم بين أربعة عشر عاماً وأربعة وعشرين عاماً. من الصعب أن نعطي مفهوماً موحداً للشباب، ولكن على العموم الشباب يمثل القوة المحركة لكل شعب، وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمعات، وتمثل هذه الفئة مركز الثقل في كل المجتمعات وهي الشريحة الأكثر تأثراً بالأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة، وهي الفئة الأكثر ديناميكية في المجتمع.

والشباب عبارة عن طاقات متجددة في المجتمع تساهم في بنائه ونهضته واستمراريته، بل تحافظ عليه من كل أشكال التدهور والتخلف والانحيار.

وفق منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) فإن نسبة الشباب في العالم تقارب 18% من مجموع سكانه؛ حيث يتواجد في العالم ما يقارب 1.2 مليار شخص يقعون ضمن فئة الشباب، ومن المتوقع زيادة عددهم بما مقداره 72 مليون في الأيام القادمة وحتى حلول عام 2025م، كما أن الإحصائيات تُشير إلى أن أعداد الشباب في الجيل الحالي تفوق أيّ عددٍ مضى عبر التاريخ، وعلى الرغم من هذه الإحصائية ومن العدد الكبير للشباب والزيادة المستمرة فيه، إلا أن نسبتهم مُستمرة في التناقص مع زيادة نسبة كبار السن حول العالم. (4)

1-2/ التعليم

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص480.

2- معجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ص470.

3- عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا الشباب المغربي، دار النشر طوبس بريس، الرباط، 2004، ص12-13.

4- عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا الشباب المغربي، ص 13.

يعد التعليم عماد كل مجتمع، وسببا هاما لازدهاره ونهضته، وسبيلا منيرا لرقبه وتطوره، ولكي تتحرر المجتمعات العربية من قبضة التبعية الأوربية، وتواكب عصر التقدم عليها أن تهتم بالتعليم، وتبذل الجهود الكبيرة لإصلاحه، ولا تتوانى في خدمة العلم والعلماء، وينبغي أن تركز في ذلك على فئة الشباب لأنهم رائدو النهضة، وحاملو المشعل:

يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاءُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبَ

خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُذْ الخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ⁽¹⁾

وينبغي أن يُرفع قدر الشباب بالعلم لا بغيره، إذ: "أن اللحظة التي نقدر فيها العلم وأهل التعليم حق قدرهم سنصبح أمة رائدة راقية، ولأن كان التفريط فيهما في الماضي جريمة، فإنه في الحاضر أشد جرما، وفي المستقبل أكبر إثما".²

1-3 مفهوم التعليم وأهميته: يعرف التعليم بأنه: "جملة ما يكسبه الفرد من حقائق معرفية عبر الوسائل المتاحة، والتعليم لغة يشتق من علم بالشيء أي أحاطه وأدركه، وعلمه العلم والصناعة، تعليميا وعلما أي جعله يتعلمها، ومن معانيه الإتقان".⁽³⁾

وقد عرّفته موسوعة المعارف التربوية على أنه: "ترتيب وتنظيم المعلومات لإنتاج التعليم، ويتطلب ذلك انتقال المعرفة من مصدر إلى مستقبل لها وتسمى هذه العملية بالاتصال".⁽⁴⁾

يفهم من هذين التعريفين أن التعليم يركز في الأساس على المعرفة الإنسانية الصحيحة والمتقنة التي تكفل النجاح في المستقبل، والشباب هم العنصر المهم في الأمة ورواد هذا النجاح، إذ لا تعليم بلا شباب، ولا شباب بلا تعليم. والمعرفة والتعليم عماد كل مجتمع. والمعرفة هي القوة والحيوية بالنسبة للتنمية في أي بلد من البلدان أيضا، وهي واحدة من قلة الموارد البشرية التي لا تنقضي، فهي مستمرة جيلا بعد جيل.

ولذا ينبغي أن ينظر إلى المجتمعات وما حققته من نجاحات في مجال التعليم، في الراهن مع التطلع إلى آفاق المستقبل. وإن كانت المجتمعات العربية قد تحرر بعضها حقيقة من قبضة الاستعمار المباشر،

1 - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1983، الجزائر، ص269.

2 - سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر-الواقع والآفاق-جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة البحوث التربوية التعليمية، المجلد9، العدد2، 2020، ص111.

3 - مهدي التميم، مهارات التعليم، دراسات في الفكر والأداء التدريسي، دار كنوز المعرفة، موسوعة المعارف التربوية، الأردن، 2007، ص19.

4 - موسوعة المعارف التربوية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007، ص19.

وما عاشته من ويلات وتدهورات واستغلالات، إلا أنها لم تسلم حتى الآن من الاستعمار غير المباشر الذي يملئ عليها دون أن تتكلم بسبب استخفافها بالتعليم، مما جعلها عاجزة أن تواكب عصر التقدم، وكل ذلك يرجع إلى تدهور التعليم وعدم استغلال الشباب لأجل التنمية والازدهار. (1)

3- ما واقع التعليم في المجتمع العربي؟

3-1 لمحة عن التعليم في العالم العربي: التعليم ركيزة أساسية لأي حضارة في العالم، بل هو السبب الرئيسي لازدهار المجتمع وتطوره، وقد يتفق معظمنا في أن واقع التعليم في الوطن العربي سيئ جداً، بسبب تفشي الأزمة وتوغلها في كل المؤسسات العلمية الموجودة في كل الدول، بحيث صار من الصعوبة بمكان القضاء على هذه الأزمة بسبب كثرة انتشارها وتوسع نطاقها؛ " فقد أشارت التقارير أن الوطن العربي هو أكبر بؤرة للأمية في العالم، وأن الجامعات العربية لم يكن لأي منها مكان في الجامعات الـ100 الأعلى نجاحاً في العالم، في حين أن العدو الصهيوني قد تم إدراجه على هذه القائمة بجامعة القدس المحتلة في المركز الـ70 بين 100 جامعة، ومن هذه النسبة يتضح لنا اهتمام العدو الصهيوني بالتعليم كبنية أساسية وكعمود أساسي من عواميد تكوين الدولة الناجحة". (2)

وهذا الأرقام -كما يبدو- تجعل الدول العربية على العموم في مأزق محير وموقف محرج، فإما أن تصلح التعليم وتستثمر طاقاتها البشرية الممثلة في الشباب للوصول إلى المراتب العالية، وإما أن تخسر أبناءها من بين أيديها، إما بهجرة بعضهم، أو بتفاقم الأزمات والمشاكل داخل المجتمع.

وفي بحث مميز للدكتور أحمد جمال سالم؛ يدلي فيه ببعض المعطيات والحقائق والتقارير والأرقام، التي تحدد أوجه الاختلاف بين الدول العربية فيما يخص قضايا التعليم؛ فيقول: " حددت منظمة اليونسكو مشكلة التعليم في الوطن العربي من خلال برنامج التعليم في العالم العربي لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، وقد وضع البرنامج هذه المشكلات في تقريره الذي أوضح أن مشكلات التعليم في الوطن العربي تختلف من دولة لأخرى، فهناك فرق بين دول الخليج والدول العربية الواقعة في قارة آسيا، والدول العربية الواقعة في إفريقيا، و فروق بين الدول الواقعة في شمال إفريقيا والدول الواقعة في الجنوب، تتمثل تلك الفروق في إمكانات تلك الدول المادية؛ فالوضع يختلف من دول لأخرى، وأن هذا يؤثر على جودة التعليم، ولكن المال في بعض الأحيان يصبح نقمة؛ لأن كثيراً من الدول العربية لا تهتم ببناء دول خاصة

¹ - المهندس تامر الملاح، مشكلات التعليم العربي وبعض الحلول المقترحة، كنانة أون لاين (26-12-2012) -بتصرف-.

² - أحمد جمال سالم، التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، شبكة الألوكة (21-12-2013). www.alukah.net.

بها، وتهتم ببناء فروع للدول الغربية الأمريكية والإنجليزية مثلاً، وبالتالي إذا نفذ المال نفذ التعليم؛ لأن التعليم في تلك الدول مرتبطٌ بالمال، وهذه مشكلة كبيرة".⁽¹⁾

وقد أورد هذه المشكلات بوجه عام، وحسب رأيه؛ "تتلخّص في طغيان الطابع النظري والمناهج النظرية في المنظومات التعليمية، كما أن الأساليب المستخدمة في التطبيق بدائية جداً وتقليدية، وهناك شيء آخر وهو عدم قدرة الطلاب على الاستفادة من المحتوى التعليمي المقدم لهم، ويتم تخريجهم وهم ليسوا على دراية بما يجب أن يفعلوه بعد التخرُّج، وأن هناك قلة نسبية في استكمال التعليم في الدول العربية بسبب عدم وجود فرص عمل مناسبة للخريجين، وهناك أيضاً تكسُّس في المناهج التعليمية والاعتماد على التلقين المستمر، وإهمال جانب التطبيق العملي لتلك المناهج، هناك عامل حَظِرٌ جداً وهو عدم الاهتمام بدور الكتب والمعامل العلمية والمكتبات، كما أن عددهم غير كافٍ لكل الطلاب الموجودين في المدرسة، واستخدام العنف ضد الطلاب؛ مما أدّى إلى ضعف انتمائهم وحبهم لاستكمال العملية التعليمية، وأخيراً عدم وجود الفرد المناسب في المكان المناسب داخل المنظومة التعليمية، يتمثّل ذلك في أن رؤساء الإدارات التعليمية غير متخصصين أصلاً في المجال التعليمي".⁽²⁾ وهذه المشكلات تحيط بالتعليم من كل جوانبه، بل تعم في أغلبها أكثر بلدان الوطن العربي، والحد منها ليس أمراً ميسوراً، وإنما يتطلب تكاتف الجهود، وتبادل الخبرات وتشاور بلدان الوطن العربي مع بعضها في أي مشكلة من مشاكل التعليم.

وأشار التقرير إلى أن هذه المشكلات والخلل الموجود في المنظومة التعليمية لا يقتصرُ على الوطن العربي فقط، ولكن هناك معظم الدول الأوروبية تعاني من تلك المشكلات، ويتسبب ذلك في فشل العملية التعليمية لديهم، ويضطرون -مثلهم كمثل الدول الفقيرة- للسفر إلى أمريكا وكندا للتعلم هناك.⁽³⁾

3-2 أرقام وإحصائيات:

واقع الأمية في الوطن العربي:

تحتل الأمية حيزاً واسعاً في أقطار المجتمع العربي؛ بحيث: "يقدر عدد الأميين والأميات في الوطن العربي المنتمين إلى الفئة العمرية (15 سنة فما فوق) (وفق البيانات المتعلقة بعدد الأميين والأميات المقدر من قبل معهد اليونسكو للإحصاء لسنة 2015، والتي تستند إلى بيانات رسمية يقوم المعهد بجمعها بصورة دورية من البلدان الأعضاء) بحوالي (54) مليون أمي وأميه، ويبلغ عدد الأميين والأميات حوالي (15.4) مليون في جمهورية مصر العربية و(7.7) مليون في المملكة المغربية، و(5.8) مليون في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، و(5.7) مليون في جمهورية السودان، و(4.7) مليون في الجمهورية اليمنية، و(4.4) مليون في جمهورية العراق. . وحسب هذه التقارير؛ فإن مجموع عدد الأميين والأميات بالدول

¹ - الموقع نفسه، شبكة الألوكة (2013-12-21).

² - الموقع نفسه، شبكة الألوكة (2013-12-21).

³ - التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، الموقع السابق.

الست المذكورة أعلاه يبلغ حوالي (43.6) مليون أمي وأمية، أي ما يمثل (80%) من مجموع الأميين والأميات في الوطن العربي.¹ وهذه في الحقيقة أرقام مذهلة تدفع إلى التفكير في حل أمثل وناجح كي نحد من الأمية أو نخفف منها في كافة الأقطار العربية.⁽²⁾

تقرير حول أفضل الجامعات العربية في العالم:

أصدرت مجلة "التايمز" تقريرها السنوي عن أفضل الجامعات على مستوى العالم، ولكن في هذا العام خرجت الدول العربية من التصنيف ولم تتمكن أي جامعة عربية أو إسلامية من الحصول على أي مستوى ضمن المائة اسم، في حين أن بني صهيون استطاعوا أن يحفظوا لهم مكاناً بين الجامعات المائة؛ حيث احتلت الجامعة العبرية بالقدس المحتلة الموقع الـ71، وقد وضعت دراسة جامعتي القاضي عياض بمراكش بالمغرب والأخوين بإيفران بالمغرب أيضاً في رتبتين متأخرتين جدا من بين هذه الجامعات؛ وهما أفضل الجامعات عربياً، وتحل جامعة القاضي عياض بالمغرب المرتبة الأولى بين جامعات المغرب، والمرتبة الثالثة بين الجامعات مغاربيةً، و37 بين الجامعات الإفريقية، و35 بين الجامعات العربية.⁽³⁾

لذا ينبغي للجامعات العربية أن تكون على قائمة الجامعات ذات المرتبات الأولى عالمياً، كيف لا؟ ولها من الطاقات البشرية ما يمكن أن يحقق لها هذه المكانة، ويرفعها في أعلى المراتب.

4-مشكلات التعليم الأساسية: لكي نحقق التنمية والإنعاش في جميع المستويات علينا أن نقضي على مشكلات التعليم التي نلخصها في:

4-1التمويل: يعد التمويل ركيزة أساسية لنهضة التعليم وتطوره، والملاحظ على السياسات التعليمية العربية هو تمويلها البائس والضعيف على التعليم، من مثل:

- انعدام مصادر التمويل الكافية بما يجعل الدول العربية غير قادرة على الإنفاق في سبيل البحوث العلمية، ومن مظاهر التمويل غير الكافي على البحث العلمي قلة المعدات والمواد التعليمية، وتأخر رواتب المعلمين في جميع المستويات مما يؤثر في إنتاجيتهم ونوعية التعليم. ولا يختلف اثنان في المرتبة العالية التي يحتلها البحث العلمي، وما يلعبه من دور كبير في محاربة الجهل والتأخر الحضاري، فكما كان الإنفاق على البحث كبيراً ومتواصلًا كلما كان الإبداع والإنتاج العلمي كثيفاً ومستديماً والعكس.

¹ - التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، الموقع نفسه.

² - سامي عبد الله خصاونة-عزت محمد جرادات-منى مؤتمن حوشبة، واقع التعليم العام في الوطن العربي وسبل تطويره، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية التونسية، ط1، دت، ص35.

³ - أحمد جمال سالم، التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، شبكة الألوكة(2013-12-21).www.alukah.net

- ومن الحقائق المؤلمة أن الدول العربية-حسب منظمة اليونسكو-تتفق 2% من الناتج المحلي الإجمالي على التعليم والبحث العلمي، في حين تتفق الدول الأوروبية 10%، وتلك فجوة حقيقية بين الدول الأوروبية ودول العالم العربي.⁽¹⁾

- عدم كفاية التمويل يؤثر على كل جوانب التعليم، ابتداء من البنية التحتية على طول الطريق لنوعية التعليم. وكذلك رواتب المعلمين التي تؤثر على الإنتاجية لأنها غالبا ما يرغمون على كسب من مصادر أخرى من أجل التعايش مع الاحتياجات الأساسية.

وإذا أجرينا مقارنة بسيطة بين التمويل في بعض الدول العربية على التعليم، وتمويل بعض الدول الأوروبية نجد هوة كبيرة وفرقا شاسعا: "فقد عجزت كثير من الدول عن مواكبة عمليات تطوير التعليم، مع أن بعض الحكومات تعتبر مساهما رئيسيا في تمويل التعليم العمومي؛ ففي كندا يشكل التمويل الحكومي للتعليم العام حوالي 78%، وفي الولايات المتحدة حوالي 70%، وفي أستراليا واليابان حوالي 76%، وفي المملكة المتحدة حوالي 85%، وفي دول مثل: الدنمرك وبلجيكا وإيطاليا وهولندا وفرنسا... يرتفع التمويل الحكومي ليتجاوز 90%، وفي البرتغال وفنلندا والسويد والنمسا يتجاوز التمويل الحكومي نسبة 95% من تمويل التعليم العام؛ صحيح أن هذه الإحصائيات ليست حديثة، لكنها تمنحنا مؤشرات بأن التمويل الحكومي يشكل النسبة الأكبر لتمويل التعليم العام في الدول المتقدمة؛ بخلاف الدول العربية التي لجأت في الآونة الأخيرة إلى تحرير التعليم وخصصته، وإفساح مجال التعليم للمال الخاص المحلي والأجنبي لتخفيف العبء عن الدولة في إدارة وتمويل مؤسسات التعليم الحكومية".⁽²⁾ وهذه النسب المرتفعة دليل واضح على اهتمامات الدول الأوروبية الكبير بمجال التعليم.

وفي تقرير للمرصد العربي للتربية والتعليم في الوطن العربي، صادر عام 2012 عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تحدث فيه عن: "حجم الناتج المحلي للدول العربية، الذي يبقى متواضعا إن لم نقل ضعيفا، إذ لا يتجاوز ما تحققه جميع الدول العربية مجتمعة ما تحققه إسبانيا وحدها".⁽³⁾

ويتضح مجهود الدول العربية لفائدة التعليم كذلك في حصة موازنة التعليم من الموازنة العامة لهذه الدول، فالجزائر تنفق مثلا 4.3% من الناتج المحلي الإجمالي و11.7% من الموازنة العامة".⁽⁴⁾ وهذا بطبيعة الحال مؤشر على ضعف النظام التعليمي، وقلة مردوده. وغياب فائدته.

4-2 حجم الصفوف الدراسية:

1 - التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، موقع سابق، (2013-12-21)، www.alukah.net.

2 - سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر الواقع والآفاق، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، المجلد 9، العدد 2، جامعة زيان بن عاشور، الجلفة، الجزائر، ص 113.

3 - التعليم في الوطن العربي، تقرير المرصد العربي للتربية لسنة 2012 الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 9، نقلا، عن سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر-الواقع والآفاق-ص112.

4 - سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر-الواقع والآفاق-ص112.

لا شك أن المؤسسات التعليمية في الوطن تعاني من كثافة العدد، "إذ أن العدد الهائل من المسجلين مع عدم وجود مبان ومؤسسات تحرم الكثير من الطلاب من الحق في التعليم، مما يعد انتهاكا لحقوق الإنسان وإعلان عام 1948. نظم التعليم ليس لديها ما يكفي من الموظفين وأماكن جديدة للطلاب وبالتالي فهي مضطرة إلى الجلوس في مجموعات كبيرة وازدحام الفصول الدراسية. ومن الأمثلة على ذلك يمكن أن نرى في الجامعات المصرية. ووفقا لإحصاءات رسمية، فكلية الحقوق في جامعة القاهرة تضم حوالي 30000 طالب واحد لا يمكن أن نتصور كيف يمكن للطلاب للحصول على ترتيب القاعات في المحاضرة والاستماع إلى المحاضرات، وإلى أي مدى يمكن لأحد أن يستفيد من هذه المحاضرات. وبالمثل، في كلية التجارة وتضم حوالي 50000 طالب. هذه أرقام مذهلة تظهر خطورة هذه المشكلة والقصة لا تختلف كثيرا في بلدان عربية أخرى." (1)

ولحجم الصف تأثير على فعالية الإدارة الصفية، التي تلعب دورا كبيرا في تحقيق التفاعل الإيجابي بين المعلمين والمتعلمين داخل الأقسام، إذ: "إن المعنى التقليدي لمفهوم إدارة التعلم الصفي يتضمن الضبط والنظام الذي يكفل الهدوء التام للتلاميذ في الصف من أجل أن يتمكن المعلم من تحقيق النتائج المرصودة، وذلك من خلال ما يقوم به من إجراءات صفية تدريسية، كذلك فإن الضبط والنظام مكون رئيسي في التعليم إذ بدونهما لا يحدث التعلم." (2)

في حين لا بد للتعلم الصفي من ضوابط وقوانين تضمن التعليم الناجح والفعال، "فالتعلم الصفي الفعال هو التعلم الذي يكون مضبوطا بإدارة البيئة التعليمية المناسبة وتنظيمها، والتي توفر للمتعلمين فرص أفضل للتعلم، ولأول وهلة حينما يسمع بعضهم مفهوم إدارة التعلم الصفي يتبادر إلى أذهانهم أن المقصود بهذا المفهوم ضبط المتعلمين باستخدام الإجراءات التأديبية والتي من ضمنها العقاب كإجراء أساسي في إدارة الصف وتنظيمه، والحقيقة أن المقصود بذلك توفير البيئة التعليمية التي تتم من خلالها التفاعل الإيجابي بين المعلمين والمتعلمين." (3)

لا جرم أن هذا العدد الهائل من الطلاب سواء في المدارس أو الجامعات يؤثر على نوعية التعليم، ويقلل من التفاعل بين الطلاب والمعلمين، مما نفع في مازق الهدر المدرسي، فضلا عن المشاكل الاجتماعية الأخرى مثل المشاجرات بين الطلاب التي تجعل التعليم لا معنى له.

1 - أحمد جمال سالم، التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، شبكة الألوكة (2013-12-21). www.alukah.net.

2 - سوفي نعيمة، الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الأستاذ داخل الصف ودورها في تنمية القدرة على التحكم في حل المشكلات الرياضية لدى تلاميذ الطور

المتوسط. مذكرة ماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010-2011، ص36.

3- المرجع نفسه، ص36.

ومن يمعن النظر في هذه المشكلة يجد أن لها سببان: سبب سياسي يتمثل في أن الحكومة تريد إرضاء جميع الناس من خلال إظهار أنها توفر التعليم المجاني، لذلك تضغط على المؤسسات لقبول المزيد من الطلبة، وسبب اقتصادي يكمن في أن الحكومة ليس لديها ما يكفي من الأموال لبناء جامعات جديدة، وتعيين ما يكفي من المدرسين لذلك فإن وضع الطلبة في مجموعات كبيرة في المؤسسات القائمة .

4-3 طرق التدريس

- تلعب طرق التدريس دورا كبيرا في العملية التعليمية، وعندما نلاحظ طرق التدريس المستخدمة في العالم العربي نجدها أساليب تقليدية وعادة ما تجاهلت الطرق الجديدة ويعتمد على التدريس والتعلم عن ظهر قلب ولا يأخذ بعين الاعتبار أساليب جديدة مثل عملية البحث والتعلم. كذلك، فإن عددا كبيرا من المعلمين غير مؤهلين. وهنا لا بد أن نشير إلى نقطة مهمة تتعلق بطرق التدريس نأخذها على سبيل المثال؛ تتمثل في الاعتماد الخاطئ لمنهجية المقاربة بالكفاءات؛ هذه الطريقة التي اعتمدها الجزائر في مرحلة معينة من مراحل التدريس، بحيث نجد: " أن المعلم لم يكن أبدا مهيبا بكل جدية للتعلم بالطريقة الجديدة، أي تلك التي تفرضها المقاربة بالكفاءات، فهذه المقاربة بالكفاءات تستند إلى فكرة أن الطالب يمتلك معارف قبلية، وخبرات مكتسبة سابقة، ويكفيه توظيفها مع مساعدة من المعلم إن استلزم ذلك، حتى يحقق مختلف الكفاءات في مختلف الوضعيات؛ وهذا ليس صحيحا على إطلاقه، وإن سلمنا جدلا بأن يكون هذا صحيحا، فإن اعتماد المقاربة بالكفاءات قد تصلح لفئة قليلة من التلاميذ دون أغلبهم؛ خاصة إذا علمنا أنه تم فرض ما اصطلح عليه المقاربة بالكفاءات فرضا لازما دون مناقشة محتواها وقيمتها...".⁽¹⁾

وربما انتقد الباحث هذه المقاربة نقدا لاذعا واعتبر طريقة التدريس بها طريقة غير ناجحة إلى حد قوله: "إنها يا صاحبي جعجة بلا طحين"⁽²⁾. وهذا الرأي على شدته وقسوته يؤكد على رفض الطريقة البيداغوجية التي تفرض أحيانا، دون مشاوره، أو دون معرفة إن كانت تصلح على فئة معينة من التلاميذ أم لا، أو تصلح على مجتمع دون مجتمع آخر.

4-4 المنهج :

- هو الطريقة التي يسلكها المعلمون في نقل مادتهم المعرفية إلى الطلاب والتلاميذ، وهو أهم عنصر من عناصر النظام التعليمي ككل، حيث إن المنهج يحدد ما تتطلع إليه الأمة. ومما يؤسف له أن المنهج الدراسي في العالم العربي يفتقر إلى معلومات جديدة وتحديثها دوريا بدلا من ذلك، في البلدان المتقدمة الكثير من الأساتذة والطلاب يتشاركون بنشاط في إعداد الكتب المدرسية الأمر الذي يؤدي إلى نوعية أعلى من النصوص ذلك على عكس الدول العربية حيث نوعية النصوص منخفضة جدا؛ الطلاب يجدون صعوبة

1 - سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر، الواقع والأفاق، ص124.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بفهمها ثم لن يهتم بها، ومن ثم تؤثر على التعلم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي التدقيق والمراجعة المستمرة لهذه الكتب قبل نشرها، لكي لا تكتشف فيها الأخطاء، وينبغي لهذه النصوص أن تكون هادفة، وتعالج القضايا الواقعية التي تستهوي القارئ، وتعزز من فضوله للقراءة.

وفقا لنتائج استطلاع الرأي إلى نحو 99 % من الطلاب قد أعربت عن استيائها من المنهج وأنه قد عفا عليه الزمن ويجب أن يتغير في أسرع وقت ممكن.⁽¹⁾ والتجديد في المنهج أمر ضروري تمليه الخبرات والتجارب الجديدة والآليات المستحدثة الناجحة التي نجد فيها استدراك للنقائص، مع الإضافات النوعية التي تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع.

عندما نحلل الوضع في العالم العربي، نرى أن أهداف الازدهار والنمو لا تتحقق. من هو المسؤول عن ذلك؟ ويخلص الخبراء إلا أن تدني نوعية التعليم هو السبب الرئيسي. ومن المشاكل الأخرى لهذا التدني ما نذكره كالآتي:

- استخدام أساليب تقليدية في طرق التدريس دون أخذ اعتبارات الأساليب كالبحت والتفكير النقدي والإبداع، وكل ما يعود بالنفع إلى الجيل الجديد ببرامج تعليمية جديدة أو وسائل وتقنيات حديثة.
- عدم كفاءة بعض المعلمين مما ينعكس ذلك سلبا على المتمدرسين، فينتج لنا جيلا من الطلبة غير المؤهلين.
- تدني عملية التعليم الذي لا يحقق الازدهار أو النمو، ولا يُعَدُّ أشخاصا قادرين على اتخاذ زمام المبادرة والمنافسة مع الدول المتقدمة.
- سيطرة الجانب النظري وحشو المعلومات المكتوبة والتلقين في ظل غياب الجانب العملي أو تهميشه إن وجد، وهو ما يؤدي إلى عدم استفادة الطلبة من المحتوى التعليمي، فيخرجون وهم ليسوا على دراية بما يفعله بعد التخرج.
- قلة عدد الكتب والمكتبات في المدرسة الواحدة، وهو ما لا يتناسب مع عدد الطلاب فيها.
- استخدام أساليب العنف ضد الطلبة، وهو ما يؤدي إلى انعدام شعورهم بالانتماء والرغبة في استكمال العملية التعليمية.

5-رشد منهجي وحلول عملية لمشاكل التعليم:

لابد لكل مشكلة من حل، وإذا أردنا أن ننهض بالتعليم ومستقبله في الوطن العربي عموما فلا بد من وضع حد لهذه المشاكل بتظافر الجهود، وتبادل الخبرات، واستثمار الطاقات، لأجل نهضة علمية تربية تحملها فئة الشباب، وقد صرّح أصحاب الخبرات ببعض الحلول العامة المقترحة؛ يقول حسن عبد المقصود

¹ - سوفي نعيمة، الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الأستاذ داخل الصف ودورها في تنمية القدرة على التحكم في حل المشكلات الرياضية لدى تلاميذ الطور المتوسط، ص36.

- أستاذ التربية بجامعة عين شمس: "بالطبع التعليم في الوطن العربي يواجه مشكلاتٍ عديدةً وكبيرةً ومعقّدةً في نفس الوقت، ولكن يجب علينا أن نبحث عن حلولٍ لتلك المشكلات، ومن وجهة نظري أرى أن التعليم في الوطن العربي يبدأ من الأسرة، فيجب على الأسرة أن يغرسوا في أبنائهم أهمية التعليم وأهمية المدرسة، كما أن المدرسة في المراحل الابتدائية لها دور كبير أيضًا في نفس الاتجاه، وتعليم الأبناء أن الله أمرنا بالعلم وأنه سيعود بالفائدة عليهم، ثانيًا: تشديد الرقابة على المدرّسين وعلى العملية التعليمية من جانب الدولة والحكومات؛ لأن العملية التعليمية استقامتها ستؤدي لاستقامة الدولة كلها وتقدّمها، واعوجاجها سيعود بالضرر على الدولة ككل وعلى كل المؤسسات، وتأتي تلك الرقابة من خلال المتابعة وعقاب المقصّرين ومكافأة المدرّسين من ذوي الكفاءة وهكذا، كما أنه يجب رفع رواتب المعلمين حتى يساعدهم ذلك على إعطاء العملية التعليمية كل ما بوسعهم، إلى جانب الاهتمام بالمناهج التعليمية وتحويلها من مناهج نظرية عقيمة إلى مناهج عملية ويتم توفير المعامل العلمية والمكتبات، وجعلها متاحة لكل الطلاب في كل الأوقات، وهناك دورٌ كبير على الدولة وهو توفير ميزانية كافية للتعليم والمؤسسات التعليمية إلى جانب تشديد الرقابة على المدارس الموجودة بالقرى والمناطق النائية؛ لأنها تكون بها أكبر قدر من الفساد"⁽¹⁾ وتلك حلول علمية عملية يمكنها أن تحقق مبتغيات التعليم الناجح وما تصبوا إليه المدارس والثانويات والجامعات في كامل الوطن العربي.

ويؤكد عبد المقصود في الوقت نفسه على حلول ومقترحات أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي توجي بشكل عام إلى عظم الكسر الذي قد يصيب الساق، والجبر المناسب الذي يقوم كسرهما؛ إذ أن: "هناك شيئاً هاماً جداً في العملية التعليمية يجب الالتفات إليه، وهو توفير العمل المناسب في الدولة للحاصلين على شهادات عالية؛ حتى لا يصاب الأصغر سنّاً منهم بالإحباط من التعليم والاستهانة به، والاتجاه إلى العمل في سن مبكرة وترك التعليم، والالتفات إلى العلماء العرب في الدول الأجنبية والاستفادة من خبراتهم في تطوير التعليم؛ لأن التعليم هو الركيزة الأساسية في نهضة الأمم، كما يجب على مسؤولي وضع المناهج الدراسية أن يبتعدوا عن المناهج الصعبة والمعقّدة والاعتماد على المناهج التي تعتمد على مشاركة الطلاب، ولا تحتاج إلى التلقين والحفظ فقط، فضلاً عن الابتعاد عن الغش في الامتحانات وتشديد الرقابة على الامتحانات، بحيث لا ينجح إلا من يستحق؛ حتى لا تتحوّل العملية التعليمية إلى عمل روتيني والمجتهد ينجح والفاشل ينجح ويتساوون في الدرجات، كما أنه يجب عمل اختبارات دورية للمعلمين ولا يترك لهم أمر تعليم الطلاب يتصرفون فيه كما يشاؤون"⁽²⁾. وهذه الحلول كما يبدو تصب في قالب الموضوع، وهي جوهر الحل، ومفتاح النجاح، إذ بها نضع الدواء على الجرح، ونقضي على مشاكل التعليم رويدا رويدا، بالصبر والحكمة واليقين.

1 - أحمد جمال سالم، التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، شبكة الألوكة(2013-12-21).www.alukah.net.

2 - نفس الموقع.

وينبغي الإشارة إلى هذه المقترحات والتوصيات التي هي دون شك عبارة عن حلول منهجية عملية لمشاكل التعليم في المجتمع العربي عموماً، وهي كالتالي:

- يجب أن تكون للحكومات الإرادة الكافية؛ بتحفيز المجتمع المحلي وتشجيعه على بناء المدارس والجامعات، لأن ذلك يساعد في حل مشكلة اكتظاظ المدارس والجامعات.

- لا بد من تكاتف الجهود وتبادل الخبرات والاستعداد الكلي للتعاون بين دول العالم العربي مع الدول المتقدمة لمعرفة كيفية تحسين نظمها وعلى أي قواعد عمل هذه النظم. هذا التعاون من شأنه أن يساعد على حل الكثير من مشاكل التعليم في العالم العربي، ويقضي على هذه الأزمة شيئاً فشيئاً.

- ينبغي أن نعوّد الطلاب على البحث والاكتشاف والاختراع، بدل الاعتماد على الحفظ عن ظهر قلب، أو التحفيظ، وضرورة الاستعاضة بأساليب التدريس الحديثة التي تستخدم في البحث وتهيئة الطلاب للحرص على الاختراع والاكتشاف. فالمنهج يحتاج إلى تحديث، على أساس سنوي، وينبغي أن يركز جل اهتماماته على الاكتشافات والاختراعات الجديدة.

- الاهتمام ببرامج تدريب المعلمين؛ بحيث يكون المعلمون جوهر النظام التعليمي ككل.

- ينبغي أن تكون هناك ورش عمل للمعلمين على أساس منتظم وينبغي أن تدفع مرتبات تنافسية حتى يتمكنوا من التركيز فقط على التعليم بدلاً من البحث عن عمل إضافي .

- الاهتمام بدور المرشد التربوي، في تقديم النصائح والإرشادات للمتعلمين، ووضع الاعتبار لنصائحه وتوجيهاته القيمة التي تعين على الاستثمار المعرفي والتحصيل الدراسي.

- الاهتمام بمجالات العلوم والتكنولوجيا نظرية وتطبيقاً وإنشاء مختبرات العلوم ومراكز البحث؛ حيث يمكن للعلماء إجراء البحوث والنشاطات العلمية فيها. مع تهيئة مناخ مناسب فيه الراحة والاستقرار والنشاط العلمي يمكن من خلاله استرجاع الآلاف من الباحثين والعلماء العرب. العاملين في الدول الأجنبية وتوفير الراحة لهم بمكان العمل في بلدانهم الأصلية، حتى نستثمر هذه الطاقات لخدمة بلدانها، ونهضة مجتمعاتها.

- الاهتمام بالشباب المتعلم أولاً واعتبارهم الكتلة المركزية لبناء المجتمعات وتطورها وازدهارها.

- توفير عمل مناسب لحاملي الشهادات العليا حتى لا يصاب الجيل الثاني بالإحباط، وهو ما يسبب الاستعانة بقيمة العمل والتعلم، فنجدهم يتجهون نحو العمل في سن مبكرة تاركين المدرسة غير شاعرين بأي نوع من الخسارة، وهذا ما يقودنا إلى مشكلة معقدة وهي التسرب المدرسي.

- الاعتبار والاتعاظ وأخذ الفائدة من خبرات الدول الأجنبية في آلية تطوير المنهج ومنظمة التعليم ككل، فهو سبب أساسي وركيزة من ركائز النهضة.

- وضع مناهج علمية مفهومة بسيطة تواكب العصر الحالي، وتعتمد على أسلوب المشاركة بين الطالب والمعلم بعيدا عن التلقين والنقل من المعلم إلى الطالب ثم إلى ورقة الامتحان.
- محاربة الغش المدرسي بكل أنواعه وطرقه بفرض الرقابة الشديدة على قاعات الامتحان وقاعات التصحيح بما يضمن منع الغش حتى لا يستوي الناجح والفاشل في العملية التعليمية.
- ضرورة تأهيل المعلمين، واختبارهم دوريا للتأكد من مدى قدرتهم على العطاء والتعليم.
- إزالة الحشو من المناهج بما يلائم عمر الطالب ومدة الفصل الدراسي والحصص الدراسية.
- تأهيل المدرسين للتعامل مع الطلبة حسب مستواهم.
- الاهتمام بالأنشطة العلمية التي تساعد في تنمية مهارات الطالب فعليا.
- إقحام التكنولوجيا والحاسوب في المؤسسات التعليمية.
- تغليب الجوانب العملية التطبيقية على الجوانب النظرية في البحوث خاصة ما يتعلق بالمواد العلمية والتقنية.
- يجب أن تكون للحكومات الإرادة الكافية لمواجهة التحديات المعاصرة ومجابهة كل أنماط التطور لأجل التنمية المستدامة في كافة المجالات، وخاصة مجال التعليم.
- تدريب طلبة الجامعات على البحث، وأنهم باحثون بالدرجة الأولى، ويكمن دور الأستاذ في تسليمهم مفاتيح البحث.
- الاهتمام بقطاع البحث العلمي، وتمويله بكافة الوسائل والتجهيزات والأدوات، وتخصيص ميزانية كافية لتطويره وإنعاشه، ومجابهته لكل أشكال التحديث والتطور التكنولوجي.
- المساهمة في نهضة علمية شبابية، عن طريق ندوات وطنية ودولية موضوعها " الشباب والتعليم".

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية توصلنا إلى مجموعة من النتائج، نلخصها فيما يلي:

- تعددت مشاكل الشباب في المجتمعات العربية، ومن بينها مشاكل التعليم، حيث أصبحت تعم دول الوطن العربي، وتعيق طريقه نحو التقدم والازدهار.
- الشباب هم الكتلة المركزية في المجتمعات العربية، والشباب بالتعليم هم كل شيء، وبغير التعليم لا شيء.
- الشباب رواد الأمة، وحاملي المشعل، ولا سبيل إلى تحقيق الازدهار والتطور في المجتمعات العربية من دونهم.
- التعليم ركيزة أساسية لأي حضارة في العالم، بل هو السبب الرئيسي لازدهار المجتمع وتطوره.
- يقوم التعليم على ركائز أساسية (المعلم، المتعلم، المحتوى، أو المادة المدروسة، المنهج)، فلا بد من تقويم هذه الركائز وإصلاحها حتى ننهض بالتعليم، ونستشرف بمستقبل زاهر ومثمر.
- أشارت الإحصائيات المقدمة في البحث إلى انعدام مصادر التمويل الكافية الخاصة بقطاع التعليم، وهذا شيء يوسف له حقا، لذا وجب على الحكومات تمويل التعليم وتخصيص ميزانية كافية له.
- أظهرت الأرقام الواردة فيما يخص نسبة الأمية في العالم العربي، وكذا واقع الجامعة العربية، أن هناك شيء من التقصير في جانب التعليم، فبالتعليم نقضي على الأمية، وبه نستطيع أن ندخل في مصاف الجامعات العالمية.

- نجد إحباطا لدى الشباب العربي المتخرج من الجامعات، بحيث تتحطم آماله حين يتخرج من الجامعات، وهو لا يعرف إلى أين يتجه، بل يصاب باليأس حين لا يجد إلا عددا يسيرا من المناصب التي تنتظره، وقد لا يسعفه الحظ أن يكون واحدا من أصحابها. لذا يجب على الحكومات أن توفر المناصب للخريجين وتهتم بهم.

- تهمل المؤسسات التعليمية في بعض الأحيان الجانب المهم في التدريس هو نسبة التحصيل وجودته، فينبغي ألا يكون التدريس عملا روتينيا، بل يجب على المعلم أن يعلم لأجل الكفاءة المنتظرة، وكذا ضرورة إخلاص المتعلمين في طلب العلم، وأن ما يتعلمونه ينبغي ألا ينسى بمجرد مفارقة الامتحان.

- وأخيرا نختم ما قلناه بقول الشاعر: العلم يرفع بيوتًا لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والشرف.

مراجع البحث:

- 1- أحمد جمال سالم، التعليم في العالم العربي، مشكلة تبحث عن حل، شبكة الألوكة 21-12-2013- www.alukah.net
- 2- سامي عبد الله خصاونة- عزت محمد جرادات- منى مؤتمن حؤبشة، واقع التعليم العام في الوطن العربي وسبل تطويره، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية التونسية، دط، دت.
- 3- سعد عبد السلام، مقال موسوم: التعليم في الجزائر-الواقع والآفاق-جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة البحوث التربوية التعليمية، المجلد 9، العدد2، 2020.
- 4- سوفي نعيمة، الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الأستاذ داخل الصف ودورها في تنمية القدرة على التحكم في حل المشكلات الرياضية لدى تلاميذ الطور المتوسط. مذكرة ماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010-2011.
- 5- عبد الحميد بن باديس، مجالس التنكير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة الأولى، الجزائر، 1983.
- 6- عبد الرحمان شيبان: المختار في الأدب والنصوص، السنة الثالثة ثانوي، 1983م.
- 7- عبد الرحيم العطري، سوسولوجيا الشباب المغربي، دار النشر طوبس بريس، الرباط، 2004.
- 8- معجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا.
- 9- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.
- 10- مهدي التميم، مهارات التعليم، دراسات في الفكر والأداء التدريسي، دار كنوز المعرفة، موسوعة المعارف التربوية، الأردن، 2007.
- 11- المهندس تامر الملاح، مشكلات التعليم العربي وبعض الحلول المقترحة، كنانة أون لاين 26 -12-2012.
- 12- موسوعة المعارف التربوية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007.